المنهج التفسيري للملا محسن الفيض الكاشاني والعلامة معرفت

- دراسة مقارنة -

سيد قاسم حسيني
أستاذ مساعد وعضو هيئة التدريس في جامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم المقدّسة، إيران
mirtaha1@yahoo.com
الدكتور جواد فرامرزي
أستاذ مساعد وعضو هيئة التدريس في جامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم المقدّسة، إيران
Faramarzi@quran.ac.ir
سكينه عباسي كراني (الكاتبة المسؤولة)
طالبة دكتوراه في التفسير المقارن، الحوزة العلمية، قسم الأخوات بمحافظة مازندران، مدرسة السيدة خديجة (س) للتعليم العالي التخصصي، بابل، إيران
as.karani36@gmail.com

A comparative study of the interpretation method of Mullā al-Muhsin al-Fayd al-**Kāshānī and Allameh Ma'refat**

Seyyed Ghasim Hosseini
Assistant professor and faculty member of University of Sciences and Education of the Holy Quran , Holy Qom , Iran
Dr. Javad Framrzi
Assistant professor and faculty member of University of Sciences and Education of the Holy Quran , Holy Qom , Iran
Sakineh Abbasi Karani (Responsible writer)
PhD student in comparative interpretation , ḥawzah ʿilmīyah, Department of Sisters in Mazandaran Province , Mrs. Khadija (S) School for Specialized Higher Education , Babol , Iran

الملخص:-

تفسير الصافي هو كتاب تفسير للقرآن من تأليف الفيض الكاشاني وهو من أعلام القرن الحادي عشر والتفسير الأثري الجامع من تأليف العلّامة معرفت من أعلام القرن الخامس عشر. استعان الفيض في تفسيره بالمناهج المختلفة لا سيّما منهج تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالأحاديث الواردة عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين i والمنهج الاجتهادي مع الاستدلال العقلاني والأسلوب الباطني في التعبير عن الأسرار والمعاني الباطنية للآيات أما في التفسير الأثري، فإن المنهج السائد هو المنهج الروائي وهوبالإضافة إلى روايات النبي i والأئمة i استخدم أقوال الصحابة والتابعين أيضًا. لقد قام هذا البحث على ضوء المنهج الوصفي التحليلي بتقديم موجز عن المنهج التفسيري لكلا التفسيرين وحلل الأساليب التي استخدمها كلا المفسرين في تفسيرهما. تدل نتائج البحث على أنّ كلا المفسرين لهما أسلوب مشترك في استخدام الروايات والمنظور الاجتهادي والمنهج القرآني في إحالة بعض الآيات إلى آيات أخرى إلا أنّ هناك اختلافات بين هذين المفسرين في مقدار استخدام هذه الأساليب ونوعها بالإضافة إلى ذلك، فإن معنى الاجتهاد في تفسير العلامة معرفت هو الاجتهاد بمعنى عام، ومعنى الاجتهاد في تفسير الفيض هو الاجتهاد العقلي. تجدر الإشارة إلى أنّه في تفسير الصافي، فإن المنهج الصوفي أشمل بكثير من التفسير الأثري الجامع، كما أنّ الأمر عكس ذلك في المنهج الروايي.

الكلمات المفتاحية: العلامة معرفت، الفيض الكاشاني، المنهج التفسيري، النقلي، الباطني، الاجتهادي، القواسم المشتركة والاختلافات.

Abstract:-

Tafsir al-Safi is the work of Mullā al-Muḥsin al-Fayḍ al-Kāshānī in the 11th century AH and the Tafsir al-athari al-jameh is the work of of Allameh Ma'refat in the 15th century AH. In his commentary, Fayḍ used various methods, especially the method of the Qur'an to the Qur'an, the Qur'an to the hadiths of the Ahl al-Bayt, and the method of diligence with rational reasoning and the esoteric method in expressing the secrets and inner meanings of the verses, etc. But in the Tafsir al-athari, the dominant method is the narrative method, which in addition to the narrations of the Prophet (PBUH) and Imams (PBUH) also used the words of the Companions of the Prophet or aṣ-ṣaḥāba and tābi'īn. This research has given a brief introduction to the interpretative method of two works and analyzed the methods that each interpreter used in his work using descriptive and analytical method. The results of the research indicate that both interpreters have a common method in the use of narrations, method of diligence and the Quranic method of referring some verses to other verses. But there are differences between these two interpreters in the amount and type of use of these methods. In addition, the meaning of diligence in the interpretation of Allama Ma'raf is diligence in the general sense, and the meaning of diligence in the interpretation of Fayḍ is intellectual diligence. It is worth mentioning that in Safi's interpretation, the mystical discussion is much more detailed than the comprehensive al-Athari interpretation, while it is the opposite in the narrative discussion.

Keywords: Allameh Ma'refat, al-Fayḍ al-Kāshānī, interpretation method, narrative, esoteric, diligence, commonalities and differences.

١ـ المقدمة:ـ

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المصون من أي نوع من التحريف الذي أرسل للسعادة البشرية. منذ نزول القرآن إلى الآن، بذل الكثير من الناس جهوداً كبيرة لفهم الآيات بشكل أفضل والوصول إلى تعاليمها العميقة، استخدموا مناهج وأساليب مختلفة في هذا الصدد.

في البداية استخدم الرسول الكريم i ، باعتباره صاحب القرآن والمفسر الأول له، منهج القرآن بالقرآن وطرق أخرى في شرح مفاهيم هذا الكتاب السماوي، ثم قام أهل البيت i والصحابة وبعد ذلك، التابعون بتفسير القرآن.

من بين المناهج التفسيرية المختلفة كان للمنهج الروائي أهمّية بمكان؛ لأن السّنّة كانت تعتبر دائماً بجانب الكتاب حجة؛ لأن بعض الآيات القرآنية تدل على أن فهم معنى القرآن وتفسيره يحتاج إلى تبيين النبي i وتعليمه، مثل هذه الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران/١٦٤) فبما أنّ تعليم القرآن يتحسّن بالتلاوة فالغرض من "يُعَلِّمُهُمُ" هو تعليم المعارف أي التفسير كما أنّ الآية ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل/ ٤٤) تشير بصراحة إلى مسؤولية النبي i في التبيين والتفسير كما أنّ هناك آيات كثيرة تدل على أنّ كلام أهل البيت i يكون مصدراً في التفسير بعد النبي i مثل هذه الآيات: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب/ ٣٣) والآية ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة/٧٩) والآية ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران/ ٧) (بابايي،٢/ ٥٣ و٦١)، على الرغم من أنّه بعد تحريم الحديث في القرن الأول وترويج شعار "حسبنا الله كتاب الله" لقد كان عامة المسلمين محرومين لفترة طويلة من هذا المصدر التفسيري إلا أنّه تطوّر فيما بعد. لهذا السبب، قام كثير من المفسرين في قرون مختلفة بتفسير القرآن بناءً على هذا المنهج، أي المنهج الروائي أو النّقلي.

يسعى هذا البحث من خلال دراسة مقارنة إلى تقديم المنهج التفسيري عند مفسّرَين من المفسرين الشيعة للقرآن الكريم ألا وهما الملا محسن الفيض الكاشاني والعلامة محمد هادي معرفت، اللذان استخدما أسلوباً خاصاً وطريقاً متميزاً لفهم مفاهيم الآيات.

فيما يتعلق بخلفية هذا الموضوع، ليس هناك مصدر مستقل مكتوب ككتاب على وجه التحديد، على الرغم من أنّ هناك كتب وأطروحات ومقالات ذات صلة مثل: ١) كتاب «نقد و بررسي مباني و روشهاي فيض در تفسير قرآن كريم/ نقد ودراسة مباني الفيض ومناهجه في تفسير القرآن الكريم» للكاتب رحمة الله عبدالله زادة آراني، نشر مدرسة عالي شهيد مطهري؛ سنة ١٣٨٩؛ ٢) رسالة ماجستير عنوانها «بررسي روش تفسيري فيض كاشاني در الصافي/ دراسة منهج الفيض الكاشاني التفسيري في الصافي» للكاتب ناصر ادبي فيروزجا وبإشراف الدكتور مؤدب ٣) أطروحة دكتوراه عنوانها «مباني و روش فيض كاشاني در تفسير قرآن كريم/ مباني الفيض الكاشاني ومنهجه في تفسير القرآن الكريم» للكاتب رحمت الله عبدالله زادة آراني وبإشراف الدكتور محمدعلي لساني فشاركي ٤) مقالة عنوانها «فيض كاشاني و مباني و روش هاي تفسيري او/ الفيض الكاشاني ومناهجه التفسيرية» للكاتب سيدمحمدعلي ايازي، الرّقم٢٣ و ٢٤ مجلّة رهنمون، سنة ١٣٨٦ ٥) مقالة عنوانها «نگاهي دوباره به روش فيض كاشاني در تفسير صافي/ قراءة جديدة في منهج الفيض الكاشاني في تفسير الصّافي» للكاتبين مروتي ومجيدي نيا؛ مجلة كاشان شناسي، المرحلة ٨، الرقم١، سنة ١٣٩٢ ٦) مقالة عنوانها «مباني، قواعد و روش هاي تفسيري فيض/ مباني ومناهج الفيض التفسيرية» للكاتبة شهناز شايان فر، مجموعة مقالات لبحوث الفيض، مطبعة كتاب طهران/٤) ؛٧) مقالة عنوانها "تأملات تفسيري فيض في «الصافي» (شيوه حديث شناسي)"/التأمّلات التفسيرية للفيض في الصافي (منهج معرفة الحديث) لأربعة كتاب، مجلّة تفسير پژوهي الرّقم ٩ سنة ١٣٩٧؛ ٨) مقالة عنوانها: «روش آيه الله معرفت در التفسير الاثري الجامع/ منهج آية الله معرفت في التفسير الأثري الجامع» للكاتبة طاهره رجايي؛ مجلة پژوهشهاي قرآني، الرّقم ٥٩ و ٦٠؛ سنة ١٣٨٨. هناك مقالتان أيضاً عنوانهما "بررسي تطبيقي روش تفسيري ملامحسن فيض كاشاني و ابن كثير/ المنهج التفسيري للملا محسن الفيض الكاشاني وابن كثير، دراسة مقارنة للكاتبين: سميه خاري آراني و رحمت الله عبدالله زاده آراني ومقالة أخرى بعنوان "بررسي اصول و مباني تفسيري ملامحسن فيض و علامه طباطبايي"/ دراسة المبادئ والأسس التفسيرية للملا محسن الفيض والعلامة الطباطبائي» للكاتبين: ابوالقاسم نقيبي وفاطمه نقيبي مما أكثر الباحث في استخدام المقالتين الأخيرتين وبعد معالجة كتاب التفسير الاثري الجامع وتفسير الصافي يقوم

الباحث بدراسة المنهج التفسيري للعلامة معرفت والملا محسن الفيض وفي النهاية يتم الإشارة إلى المناهج التي ذكرها المفسران بشكل مشترك في تفسيرهما والمناهج التي ذكراها بشكل منفصل.

١-١. تعريف تفسير الصافي

إنّ هذا التفسير من تأليف الملا محسن، محمد بن مرتضى الملقّب بالفيض الكاشاني (المتوفي ب ١٠٩١). كان محدثاً فقيهاً و فَيلَسوفاً عارفاً. ولد في كاشان. له ثلاثة تفاسير كبيرة ومتوسطة وصغيرة بعناوين: تفسير الصافي والأصفي والمصفي (الحرالعاملي، امل الآمل، بي تا: ٢/ ٣٠٥؛ آقابزرگ التهراني، الذريعه إلى تصانيف في فضائل الشيعه، ١٤١٢ق: ١٥/ ٥) إن تفسير الصافي هو مزيج من الرواية والدراية والنقل والعقل. أولى المؤلف في التعبير عن عباراته اهتماماً خاصاً بـ "تفسير البيضاوي" واختار منه معظم عباراته ثم ذكر نصوص الأحاديث المروية عن أهل البيت i . (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩: ٢/ ٢٠٧) هذا التفسير هو مزيج من الروايات والاجتهادات. تم تمييز تصريحات الفيض في هذا التفسير بكلمة "أقول".

٢-١. تعريف كتاب التفسير الأثري الجامع

من أحدث تفسيرات القرآن الكريم التي نُشرت في إيران هو كتاب "التفسير الجامع الأثري" الثمين للكاتب الأستاذ محمد هادي معرفت. ولد آية الله معرفة سنة ١٣٠٩ش في كربلا. وفيه ناقش المؤلف مواضيع مثل الظهر والبطن، ودراسة الفضائل القرآنية، والتفسير بالرأي، وصيانة القرآن من التحريف، والتفسير في زمن الصحابة، وشأن النّزول، والحروف المقطعة في أوائل السور وإلخ. (روشن ضمير، معرفي و نقد التفسير الاثري الجامع، ١٣٨٦ش: ٢٨٣) في هذا الكتاب، لم يتم استخدام المنهج الروائي فقط، ولكن تم استخدام المناهج المختلفة (رضايي اصفهاني، سبكي نوين در تفسير روايي، ١٣٨٣ش: ١٠٩) كتب التفسير الأثرى الجامع باللغة العربية وبالمنهج المأثور مع أسلوب بديع ومنهج مبدع.

٢- منهج الملا محسن الفيض الكاشاني

في تفسير الآيات القرآنية المختلفة، لقد استعان الفيض الكاشاني بالآيات القرآنية الأخرى واهتم بمنهج القرآن بالقرآن، لكن أهم منهجه هو اختيار الأحاديث المتعلقة بآيات

القرآن الكريم حيث حاول أن يجمع البيانات التفسيرية لأهل البيت i ويجيب أسئلة محبي أهل البيت i . في هذا التفسير ومن أجل الوصول إلى معنى الآيات، استخدم الفيض بالإضافة إلى منهج القرآن بالقرآن والمنهج النقلي للروايات، المنهج الباطني في تأويل الآيات ومعانيها الباطنية ومن ناحية أخرى، انخرط في الاجتهاد العقلي في حالات مختلفة أيضًا

١-٢. منهج تفسير القرآن بالقرآن

إنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن هو منهج يتم تفسير الآية فيه بمساعدة آيات أخرى"ويُقصد به ربط الآيات المتشابه لفظها أو معناها بعضها ببعض وتفسير بعضها ببعض." (عميد زنجاني، مباني و روش هاي تفسير قرآن، ١٣٨٧ش: ٣٦١) يعتقد بعض المفسّرين أنّ أصح طرق التفسير وأجلها تفسير القرآن بالقرآن. تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النوع من التفسير لم يكن منحصراً بعصر نزول القرآن بل كان مستمراً بعد وفاة الرسول الأكرم i إلى عصر الصحابة (الذهبي، التفسير و المفسرون،١٣٩٦ق: ١/٣٧-٤١).

قال الفيض الكاشاني في تفسيره: « فان وجدنا شاهدا من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به فان القرآن يفسر بعضه بعضا وقد أمرنا من جهة أئمة الحق d أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته» (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ١/٧٥).

فيما يلي أمثلة على تفسير القرآن بالقرآن:

يقول الفيض في تفسير الآية ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة/٣٧) لتوضيح كلمة «توبة» «التوبة بمعنى الرجوع والإنابة فإذا نسبت إلى الله تعالى تعدت بعلى وإذا نسبت إلى العبد تعدت بإلى ولعل الأول لتضمين معنى الاشفاق والعطف ومعنى التوبة من العبد رجوعه إلى الله بالطاعة والانقياد بعدما عصى وعتا ومعناها من الله رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولا ثم قبوله إياها منه آخرا فلله توبتان وللعبد واحدة.» ثمّ يستند الفيض إلى الآية ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة/١١٨) فبالتالي يفسّر جملة «فتاب عليه» مع الآية ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (المصدر نفسه: ١/١٢٠)

٢-٢.منهج التفسير النّقلي

بعد تفسير القرآن بالقرآن، لجأ الفيض ﷺ إلى روايات المعصوم a من أجل تفسير

الآيات التي تحتاج إلى التأويل ومعرفة شأن النزول الذي وقف فهم الآية عليه ومعرفة الناسخ والمنسوخ ومثل هذه القضايا وهو يعتبر الروايات المتوارثة عن المعصومين d الموجودة في الكتب الشيعية المعترف عليها معياراً لفهم معنى الله من آيات القرآن (عبدالله زاده و خاري، بررسي تطبيقي روش تفسيري الفيض الكاشاني و ابن كثير، ١٣٩٤ش: ٣٨)

قبل كل شيء ينبغي القول إنّ الفيض الكاشاني بالإضافة إلى ذكر الأحاديث، يحاول شرح الأحاديث أيضًا أمّا في هذا القسم فهو لا يعتمد على الاجتهاد والاستدلال والاستنباط العقلاني، فبالتالي إنّ منهجه هذا ليس منهج التفسير الاجتهادي بل هو نقلي وإن لم يكن التفسير النقلي المحض.

١-٢-٢- روايات من أهل البيت d

يقول هو نفسه: «عندما وجدنا حديثاً من أهل البيت d في كتب أصلية أو وصلنا إليه عن طريق الصحابة ضمنّاه.» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق:٧٥/١) إليكم بعض الأمثلة التي استخدمها الفيض في تفسير الآيات:

في تفسير «الحمدلله» (الحمد/٢) (الفيض، المصدر نفسه: ٨٣/١) يقول: الحمد لله: يعني على ما أنعم الله به علينا، في العيون وتفسير الإمام a عن أمير المؤمنين a أنه سئل عن تفسيرها فقال: هو أن الله عرف عباده بعض نعمه عليهم جملا إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا.» (ابن بابويه، عيون اخبارالرضا، ١٣٨٧ق: ٢٨٢/١؛ امام يازدهم، ٣٠)

٢-٢-٢. روايات الصحابة والتابعين من أهل البيت d

كان يعتمد الفيض ﵀ أحياناً إلى الروايآت التي كان يتمّ ذكرها عن طريق أهل السنّة كما يكتب: "وقد نقلنا أحاديث من أهل السنة الذين نقلوها عن الأئمة d ؛ لأن تلك الروايات تمت نسبتها إلى معصوم بشرط ألا تتعارض مع رواياتنا» (الفيض الكاشاني، المصدر نفسه، ٧٥/١) لذلك فهو كان يهتمّ بالروايات التي نقلها أهل السنة عن أهل البيت d ومردّه هو حديث الإمام الصادق a حيث قال: «إذا نزلت عليكم حادثة ولم تجدوا حكمها، فراجعوا ما يرويه السنة عن علي a وافعلوا فيه.» (المجلسي، بحارالأنوار،١٤٠٣ق: ٢٥٣/٢).

وكلما روى رواية منسوبة لأهل البيت i عن طريق أهل السنة، كان يعبّر عنها بلفظ "في رواية عامة" أو "والعامّة". إليكم مثالاً على الحالات التي استخدم فيها الفيض أحاديث أهل السنة في تفسيره:

يمكن الإشارة إلى الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (النساء/١٨) حيث يكتب الفيض في تفسير هذه الآية: «و في رواية العامّة: من تاب قبل أن يغرغر بها تاب اللّه عليه.» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق: ١/ ٤٣٢) وهو جاء بمثل هذه الروايات في تفسيره.

٣-٢. منهج التفسير الباطني

في تفسير كثير من آيات القرآن، استخدم الفيض أسلوب التأويل لتوضيح أسرار الآيات ويقول: «في بعض مواضع التفسير، من أجل معرفة المعنى الكامل للآيات، قمنا بشرح بعض الأسرار، ولا ينبغي لمن لم يلم بالأسرار أن ينكرها، ويجب أن يعطي القوس باريها؛ لأنّ كل شيء له أهل المعرفة والحذق به وتجدر الإشارة إلى أننا استنبطنا هذه الأسرار من معارف الأئمّة d ومن أسرارهم وكلّ ما لدينا من التوفيق هو ثمرة من إشاراتهم التي كانت نتيجة إخلاصهم ومحبتهم وشربهم عصارة الحق وسنحمد الله. » (الفيض الكاشاني، المصدر نفسه: ١/٧٧)

يعتقد الفيض أنّ معنى التأويل هو الإرادة الفردية من المعنى العام المخفي عن فهم العموم (فيض، الأصفي في تفسير القرآن، ١٤١٨ق: ٤/١) ويعتبر التأويل مرتبطاً بالباطن أي العبور من القشر والظاهر. (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ٣٣/١) لذلك، بما أنّ الفيض يعتقد أنّ لكل معنى روح وحقيقة واحدة وهي نفس معنى ظاهري للّفظ إلا أنّه قد لا يمكن فهم جميع المعاني من ظاهر اللفظ لذلك يعتقد أنّ لبعض الكلمات معنى باطنياً يفوق المعني الظاهري حيث إنّ هذا المعني الباطني خفي عن فهم الإنسان العادي فهو في الحقيقة يعتقد أنّ التأويل هو المعني الباطني نفسه. من الآيات التي قام المرحوم الفيض ﷺ بتفسيرها تفسيراً باطنياً هي: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد/١٧) اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين

مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: (أنزل من السماء ماء) أي: مطرا، (فسالت أودية بقدرها أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، فالمقصود من الماء هو العلم والضلال هو الزبد (ما يعلو الماء أو اللبن ونحوهما من الرغوة) والأودية هي القلوب وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها.

٤-٢. منهج تفسير الاجتهاد العقلي

إنّ الغرض من منهج الاجتهاد العقلي هو المنهج الذي استخدمه المفسر لحكم عقلاني في تفسير بعض الآيات. (عك، اصول التفسير و قواعده، ١٤٢٨ق: ١٧٦) يستخدم الفيض ﵀ لاكتشاف غرض الله من الآية، في بعض الحالات الحكم العقلاني لتفسير الآيات مثل هذا الآية: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا و. . . .﴾ (المومنون/٢٧) لقد قام المفسّر بتفسير «اعْيُنِنا» هذا الشكل «بحفظنا ان تحظى فيه أو يفسد عليك مفسد» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق: ٣٩٨/٣) أي إنّ المفسّر ترك المعني الظاهري لكلمة «اعْيُنِنا» جانباً وفسّرها بـ «احفظنا». إن التخلي عن معنى أعيننا الظاهري، والاجتهاد بمعنى احفظنا، مبني على الحكم العقلي مفاده أنّ الله ليس جسداً، والعين في معناه الظاهري لا معنى له.

٣- المنهج التّفسيري للعلّامة معرفة ﵀ .

يقسم آية الله معرفة مناهج التفسير إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: التفسير المأثور أو النّقلي ويتضمن أربعة مناهج: منهج تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، والقرآن بأحاديث الصحابة والقرآن مبني على أقوال التابعين. يجدر بالذكر أنّنا لا نملك نقلًا محضاً، سواء في نقل القرآن بالقرآن، أو في نقل الأحاديث، أو نقل أقوال الصحابة والتابعين؛ لأن هناك حد أدنى من الاجتهاد، حتى في النّقل؛ لأن اختيار الآيات في تفسير القرآن بالقرآن واختيار الأحاديث ذيل الآيات هو في حد ذاته شكل من أشكال الاجتهاد، حتى لو لم يعط المفسر أي تفسير في المنهج النّقلي ومع ذلك، فإن هذا المنهج يعتبر عادة المنهج النّقلي.

ثانياً: منهج التفسير الاجتهادي، وهو غالباً ما يكون في حقول الموضوعات الكلامية

والأدبية والروحانية وحتى الفقهية (معرفت، تفسير ومفسران، ١٣٧٩: ٢/٢٢٨). إلا أنّ الغرض من المنهج الاجتهادي هو الاعتماد على العقل والاجتهاد، كما يكتب: "إن التفسير الاجتهادي يعتمد على العقل والرأي أكثر من اعتماده على النّقل والرواية.» (معرفت، التفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٣٤٩/٢).

١-٣. منهج التفسير النقلي

يمكن تقسيم منهج التفسير النقلي إلى نوعين: النّقل المحض والنّقل غير المحض، لكن منهج التفسير النقلي هنا يشمل النّقل المحض والنّقل غير المحض، وهذا يعني أنّ التفسير النقلي يقابل التفسير الاجتهادي، أي، نقل تفسير الآخرين، وهو أمر يمكن أن يكون مصحوباً مع شرح موجز.

١-١-٢. تفسير القرآن بالقرآن

هناك منهجان لتفسير القرآن بالقرآن: أولاً: هناك موضوع ورد بشكل غامض في آية واتّضح ذلك الموضوع في آية أخرى. في هذه الحالة، هناك تناسب معنوي أو لفظي بين الآيتين. ثانياً: ورد موضوع في آية لكن من حيث الظاهر أنها لا تتعلق بموضع الغموض في آية أخرى، سواء لفظيًا أو معنوياً إلا أننا بإمكاننا الاعتماد على تلك الآية لتوضيح هذا الغموض. (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ١٨/٢) ومنها: تفسير الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الحمد/٧) بمساعدة الآية ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء/٦٩-٧٠)

ثمّ بالنظر إلى آيات طه/٨١ والنحل/١٠٦ والممتحنة/١ والبقرة/١٠٨ يتضح أنّ الصراط المستقيم هو الوسيط الذي لا مبالغة فيه ولا تقصير. (معرفت، المصدر نفسه: ١/ ٣٩١) فبما أنّه يفسر، ولكن لا يزال التفسير مبنيًا على منهج التفسير النّقلي، وهذا القدر من التفسير لا يدخله في التفسير الاجتهادي المعتمد على الاستدلال العقلاني.

٢-١-٣. تفسير القرآن بالسنة

يعتقد آية الله معرفة أنّ التفسير المأثور له نطاق واسع، لاسيما إذا نظرنا إلى السنة جنباً

إلى جنب مع القرآن، مما يزيد من حجم التفسير النقلي. (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ١٦٦/١) فهو يعتبر التفسير المأثور من الرسول الأكرم i والأئمة المعصومين d حجة. تجدر الإشارة إلى أنّه أشار إلى هذه النقطة في مقدمة التفسير وفي تفسيره استخدم الكثير من أحاديث المعصومين (علم، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧: ١/٩٨) فيما يلي تتم الإشارة إلى مثال: فيما يتعّق بالآية: ﴿واستَعِينُوا بِالصبرِ والصلاةِ﴾ (البقرة/٤٥) نقل حديثاً عن الإمام علي a حيث قال: قال رسول الله i : «الصَّبْرُ ثَلاثَةٌ، صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصيبَة، وَصَبْرٌ على الطّاعَةِ وَصَبْرٌ عَنِ المَعْصِية» (الكراجكي، كنزالفوائد، ١٤١٠ق: ١٤٠/١) وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي استعان فيها آية الله معرفة بالأحاديث لتفسير الآيات.

٣-١-٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة

يهتم آية الله معرفة التفسير بأقوال الصحابة ويعتبره من المصادر الرئيسية للتفسير. تجدر الإشارة إلى أنّه ذكر شرطين في حجية أقوال الصحابة وهما: صحة الإسناد وكون الصحابي من الأشخاص ذوي المقام العالي. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ١/ ٩٨) يقول عن الصحابة: "إن الصحابة هم الذين نشأوا في حضن الرسول وتلقوا العلم مباشرة من المصدر الرئيسي، والذين درسوا الدين مباشرة من الرسول i ، فهم بلا شك كانوا يفهمون معاني القرآن أفضل من غيرهم ووجدوا أكثر من غيرهم العلامات الواضحة لمعارف القرآن العالية. (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ٢/ ٢١) فهو يعتقد أنّه قد اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، وهم: علي بن أبي طالب a وكان رأسا وأعلم الأربعة. وعبد اللّه بن مسعود، وأبيّ بن كعب، و عبد اللّه بن عبّاس، كان أصغرهم و أكثرهم نشرا في التفسير.

ومن الآيات التي استخدم في تفسيرها أقوال الصحابة:

يقول ابن عباس في تفسير ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾ (الحمد/٦) الصراط المستقيم هو طريق الهدى، والصراط دين الله الذي لا انحراف فيه.. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٣٨٣/١) وقد فسر الإمام علي a الصراط في هذه الآية على أنه صراط الأنبياء. (المصدر نفسه: ٣٨٦).

٤-١-٣. تفسير القرآن بأقوال التابعين

يقول آية الله معرفت عن التابعين: «مما لا شك فيه أن التابعين قد أطلعوا على أحاديث الرسول i وعلماء الصحابة وكانوا يفهمون معاني الآيات القرآنية بشكل أفضل إلا أنّ قول التابعين في التّفسير نعتبره كشاهد أو مؤيّد ولا نعتبره حجة قطعية ولايساوي حديث النبي i وكلام الصحابة الذي - هو في أغلب الأحيان - حجة بل هو في الدرجة الثالثة من الصحة.» (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ٢٢/١) وهو في تفسيره استخدم أقوال التابعين كثيراً:

على سبيل المثال نقل عن مجاهد في الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (حمد/٧) وفي تفسير ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أنّ الغرض منهم هو اليهود والغرض من عبارة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هو النصاري. وقد روى سعيد بن جبير وابن جرير وابن أبي الحاتم وغيرهم روايات في تفسير هذه الآية. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٣٩٣/١).

٢-٣. منهج التفسير الاجتهادي

يكتب معرفت: «فالتفسير الاجتهادي يعتمد على العقل والرأي أكثر من اعتماده على النقل والرواية، لكي يكون معيار النقد هو الحكمة الرشيدة والرأي الصائب.» (معرفت، التفسير و المفسرون في ثوبة القشيب، ١٣٧٧ش: ٣٤٩/٢)

١-٢-٣- تفسير الاجتهاد العقلي

إن غرضه من التفسير الاجتهادي في الغالب هو الاجتهاد العقلي، ولكن ولكن لكي ينأى منهجه في التفسير عن مجرد التفسير العقلي المحض والتفسير الفلسفي، فإنه يعبر عن التفسير الاجتهادي الذي يعتمد على العقل، أي الاستدلال العقلي الذي بسيط وواضح للغاية ومستفيد من الأساسيات، وليس الاستدلال العقلي الفلسفي المعقد؛ لأن النقاشات الفلسفية وبراهينها قد تجعل الطريق أبعد، كما يعتقد أتباع المدرسة التفكيكية، من وجهة نظر ميرزا مهدي الأصفهاني، من أجل الوصول إلى المعرفة الحقيقية، يجب على المرء أن ينفصل عن المعرفة والعلوم، ويجب أن يدرك حقيقة وجود الله في الحالة اللافكرية والتجريد والانخلاع؛ لأن كل ما يتم الحصول عليه بطريقة غير هذه الطريقة ليس له قيمة معرفية

فحسب، بل هو محض ضلال وجهل. لذلك يعتقد أنّ البراهين تتعارض مع المعرفة والمعرفة ليست سوى الكشف الحضوري. (الغروي الأصفهاني، تقريرات، بي تا: ٣٠) تجدر الإشارة إلى أنّ أقواله في المعرفة إلا أنّ اعتقاده في بحث التفسير هو هو.

لذلك فهو يؤمن بالتفسير الاجتهادي إلى درجة يعتمد على حاجات العقل. يكتب أن التفسير الاجتهادي في أول الأمر عند التابعين كان هكذا ويقول: «إنّهم كانوا ينظرون في المسائل القرآنية التي تشير إلى معاني الصفات وأسرار الخلق وأحوال الأنبياء ومثلها ويعرضونها على منهج العقل.» (معرفت، التفسير و المفسرون في ثوبة القشيب، ١٣٧٧ش: ٤٣٥/١) من بين هذه المواضيع، يمكننا الإشارة إلى مواضيع مثل الإيمان (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٦٩/٢) والإرادة، (المصدر نفسه: ٤٧ و ٥٦٩/٣) والشفاعة، (المصدر نفسه: ٢٨/٣) ورؤية الله، (المصدر نفسه: ١٣٠) والإمامة، (المصدر نفسه: ٥٢/٤) والعصمة، (المصدر نفسه: ٥٧) والرجاء، (المصدر نفسه: ٣٧٧/٥) والارتداد (المصدر نفسه: ٤٣).

٢-٢-٣- التفسير الاجتهادي الأدبي

بما أنّ لغة القرآن هي اللغة العربية، فمن الضروري الحصول على الأشكال التركيبية للقرآن الكريم وفقا للقواعد الأدبية المأخوذة من أبلغ الكلام والكتابة العربية وتفسير آيات القرآن الكريم بناءً عليها. (رجبي، روش تفسير قرآن، ١٣٩٠ش: ٨٢) اهتم العلامة معرفت بقواعد الأدب العربي في تفسيره وتناول هذا الموضوع تحت عنوان "اللغة والأدب" تحت بعض الآيات. على سبيل المثال، في الآية الثانية من سورة حمد، يقول: "الحمد لله" جملة إنشائية لشروع شكر الرب على نعمه العديدة، و "اللام" فيها هي "لام الجنس" وليست استغراقاً. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٢٨٥/١) تجدر الإشارة إلى أنّ منهج العلامة الاجتهادي هذا، لا يقتصر على هذه المجالات، ويمكن رؤية هذا المنهج في تفسيره في حالات أخرى أيضاً.

٣-٢-٣. منهج التفسير الباطني

يقول معرفت: «يعتمد التفسير الصوفي على الرّمز والإشارة.» (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ٣٦٧/٢) وهو يعتبر عدم اهتمام الصوفيين بالمبادئ الأدبية وقواعد اللغة أحد التنافرات في التفاسير الصوفية ويعتقد أن التباين في تفسير الآيات القرآنية وتأويلها

هو أحد خصائص هذه التفاسير. (المصدر نفسه: ٣٨٢) وقد اقتبس العلامة معرفت أقوال "سلمي" و "قشيري" تحت عنوان "التحقيق اللطيف" إذا أراد أن يفسر الآية ٥٤ من سورة البقرة. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ١١١/٣) في بعض الأحيان، وهو يروي حديثاً من الأئمة الأطهار i ، يستشهد بمفسر قام بتفسيرها من الزاوية الصوفية. على سبيل المثال، حينما كان يريد أن يفسر الآية (اهدنا الصراط المستقيم) ينقل رواية عن الإمام الصادق a ثم يذكر قول الفيض الكاشاني في "التفسير الصافي" من أجل أن يلوّنها لوناً صوفياً (المصدر نفسه، ٣٨٨/١-٣٨٩)

٤- افتراقات هذين المنهجين التفسيريين

في حين أنّ ظاهر العديد من العناوين في مناهج تفسير هذين المفسرين متشابه، بل متماثل جداً، إلا أن هناك اختلافات في تفاصيل هذه المناهج، نذكر بعضها:

٤-١- تفسير القرآن بالقرآن:

أ: إن تفسير القرآن بالقرآن في منهج معرفت ﵀ التفسيري جاء بشكل التفسير المأثور أو النقلي؛ لأنه قام بتفسير الآيات القرآنية بواسطة القرآن نفسه لذلك فهو لا يعتبر تفسير القرآن بالقرآن منهجاً تفسيرياً مستقلاً (معرفت، تفسير و مفسران، ١٣٧٩ش: ٢/ ٢٢٨) ولا منهجاً اجتهادياً؛ لأنّه يعتبر التفسير الاجتهادي تفسيراً عقلياً يعتمد إلى الأمور العقلية (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٣٤٩/٢) لذلك، يمكن دراسة تفسير القرآن للقرآن كجزء من منهجه النقلي أو المأثور.

ب: أما في منهج الفيض ﵀ التفسيري فقد جاء تفسير القرآن بالقرآن كمنهج تفسيري مستقل لذلك قال الفيض ﵀ في تفسيره هكذا: فان وجدنا شاهدا من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به فان القرآن يفسر بعضه بعضا وقد أمرنا من جهة أئمة الحق d أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته»(الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ٧٥/١). بهذه التعابير، يتضح أنّه فصّل هذا المنهج عن غيره من المناهج ويعتبره منهجاً مستقلاً.

٤-٢- الأحاديث غير الصحيحة على الظاهر

هناك بعض الأحاديث تنافر ومضمون الآيات ولايلائم شأن عصمة النبي i أو مقام

أهل البيت d لاسيما إذا كانت الأحاديث مروية من قبل الصحاة والتابعين. تعامل معرفت ﵀ والفيض ﵀ مع هذه الأحاديث تعاملين: أحدهما انتقد والآخر ما انتقد.

أ: ينتقد آية الله معرفت الأحاديث غير الصحيحة على الظاهر. على سبيل المثال يقول من خلال ذكر حديث في تفسيره:

وأخرج أحمد و البخاري والدارمي وأبو داود و النسائي وابن جرير وابن حبان وابن مردويه و البيهقي عن أبي سعيد بن المعلّى قال: كنت اصلّي فدعاني النبيّ i فلم اجبه فقال:«أ لم يقل اللّه اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ ثمّ قال: لاعلّمنّك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي فلمّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول اللّه إنّك قلت لأعلّمنّك سورة في القرآن؟ قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ... هي السبع المثاني و القرآن العظيم الذي اوتيته» في هذا الحديث نكارة من وجوه:

أوّلًا، كيف يوبّخ النبيّ i رجلا أخذ بحرمة الصلاة فلم يقطعها، ليؤخّر إجابة النبي فور إكمال الصلاة، كما في الحديث الآتي: فخفّف وأسرع إلى النبيّ وسلّم عليه سلام تسليم؟

ثانياً، ما وجه دلالة الآية التي استند إليها النبي- فرضا- و هي خاصّة بشأن دعوته للإسلام؟

ثالثًا، الثابت من الأحاديث و من ظاهر تعبير القرآن، أنّ سورة الحمد- و هي السبع المثاني- تعادل القرآن العظيم، لا أنّها القرآن بذاته!

رابعاً، ما ذا يبدو من الحديث؟ هل كانت سورة الحمد أعظم سورة في القرآن، أم هي نفس القرآن؟! و العبارة في ذيل الحديث مجملة: «هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته»... ما شأن العطف في «... والقرآن العظيم»، و ما شأن الوصف في «... الذي اوتيته...»، وصف لما ذا؟

خامساً، ما هذا الاهتمام البالغ بشأن تعليم سورة، كان المسلمون تعاهدوها منذ بزوغ الإسلام؟! و هل كان أبو سعيد لا يعرف هذه السورة ولا يعرف موضعها من حياة المسلمين العبادية؟! الأمر الذي يوهن جواز نسبة مثل هذا الحديث إلى النبيّ

الكريم!! (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٢٦٠/١)

ب: يروي الفيض ﵀ الأحاديث غير الصحيحة على الظاهر ولكن لا ينتقدها. على سبيل المثال يقول في تفسير الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ (النساء/١٨) «وفي رواية العامّة: من تاب قبل أن يغرغر بها تاب اللّه عليه.» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق: ١/ ٤٣٢) لقد جاء بمثل هذه الأحاديث في تفسيره.

٤-٣- تصنيف الأحاديث

أ: لقد صنّف معرفت الأحاديث حينما يريد أن يفسّر الآيات وانتقد بعضها من جهة السند، وبعضها الآخر من جهة المضمون، وبعضها من الجانبين.

ب: لكن الفيض ﵀ لم يصنف الأحاديث، وفي حالات قليلة شرح الأحاديث تحت عنوان "أقول" وقد جاء بها دون أي تفسير أو تلخيص. (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ١٢٨/١)

٤-٤- سند الأحاديث

أ: كان يعتقد المرحوم معرفت أنه بالإضافة إلى دراسة محتوى الأحاديث، يجب أن يكون هناك أيضًا دراسة سندية، لذلك يذكر أسناد الأحاديث خاصة في قبول روايات الصحابة مثل ابن عباس والآخرين، نص على شرطين في صحة أقوال الصحابة: كان الشرط في الحجيّة والاعتبار أوّلاً: صحّة الإسناد إليهم، وثانياً: كونهم من الطراز الأعلى. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٩٨/١)

ب: لكن الفيض ﵀ روى الأحاديث بغير سند وكان يعتقد أنّ معرفة السند في عصر بعيد عن زمن صدور الروايات ليس له جدوي وهو في صحة الروايات كان يعتمد على معنى الروايات وفحواها ويقول: وليس لهذا الأمر الخطير والاتيان بمثل هذا التفسير الا ناقد بصير، ينظر بنور الله ويؤيده روح القدس، بإذن الله ليشاهد صدق الحديث وصحته من اشراق نوره، ويعرف كذبه وضعفه من لحن القول وزوره فيصحح الاخبار بالمتون دون الأسانيد (الفيض، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ١/، ١١،١٢،١٧) لذلك فهو لم ينتقد الأحاديث سواء من حيث السند أو حتى من

حيث المضمون كما ذكر أعلاه.

٥-٤- مفهوم التأويل في التفسير الباطني

أ: يعتد الفيض أنّ التأويل هو الإرادة الفردية من المعنى العام المخفي عن الفهم العوام (الفيض، الأصفي في تفسير القرآن، ١٤١٨ق: ٤/١) ويقول: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ظهره تنزيله وبطنه تأويله (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١٤١٥ق: ٢٩/١) أي في مفهوم التأويل يعتمد على الركيزتين وهما: المعني الباطني ومعرفة المصداق وعلى الرغم من أنّه في المعنى الباطني في تأويل القرآن كله مشترك مع معرفت ﵀ أما في الركيزة الثانية فهو موافق وقول ابن تيمية في معرفة المصداق (ابن تيميه، الاكليل في المتشابه و التاويل، بي تا: ١٠-٢٣)، يعني أنّ التأويل هو العين الخارجي ومصداق آيات القرآن وإنّ هذا المعني للتأويل في تفسير الفيض يستحق التأمل والتفكير؛ لأنّ هذا المصداق عمومات القرآن وبقليل من التفكير يتضح أنّ معرفة المصداق هذه لا ترتبط دائماً مع المعني الباطني.

ب: أمّا التأويل عند معرفت ﵀ فله معنيان: أحدهما المعنى الباطني، وهو الطبقات الباطنية لمعنى آيات القرآن، وهو بهذا المعنى يشترك مع الفيض ﵀، ولكن المعنى الثاني في مفهوم التأويل هو تبرير الآيات المتشابهة بطريقة صحيحة لكي لا يلزم المحذور العقلي وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا النوع من التأويل يكون في الآيات المتشابهة وليس في جميع الآيات (معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ١٣٨٨ش: ٢٥/٣) على الرغم من أنّه يذكر الرأي الأول للسيد حيدر من أهل الظاهر.» (الآملي، المحيط الاعظم و البحر الخضم في تأويل كتاب اللّه العزيز الحكيم، ١٤٢٢ق: ٢٣٩/١).

٥- القواسم المشتركة للمنهجين التفسيريين

هناك أمور مشتركة في التفسيرين توضح الطريقة المماثلة للمفسّرين في التفسير:

١-٥- استخدم كلا المفسرين منهج تفسير القرآن بالقرآن، إلا أنّ معرفت ﵀ اعتبره تفسيراً منقولا والفيض ﵀ اعتبره منهجاً مستقلاً.

٢-٥- استخدم كلا المفسرين منهج التفسير النقلي على نطاق واسع، على الرغم من أنّ

مدى هذا المنهج ليس متساوياً؛ لأنّ معرف ﵀ يعتبر تفسير القرآن بالقرآن تفسيراً مأثوراً، وبالتالي فهو يعتبر التفسير المأثور أو النقلي أكثر شمولاً. (معرفت، تفسير ومفسران، ١٣٧٩ش: ١٦٦/١).

يقول الفيض ﵀ «وإلا أوردنا ما روينا عنهم d من طرق العامة لنسبته إلى المعصوم وعدم ما يخالفه» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق: ٧٥/١) لذلك قد كثر حجم التفسير النقلي.

٣-٥- استخدم كلا المفسرين روايآت الصحابة في تفسيرهما. يقول معرفت ﵀: ولتفسير الصحابي قيمته الأغلى في مجال الاعتبار العلمي و العملي، وهو من المصادر الرئيسية للتفسير. إلا أنّه شرط في الحجيّة والاعتبار أوّلا: صحّة الإسناد إليهم، وثانياً: كونهم من الطراز الأعلى. (معرفت، همان: ١/ ٩٨).

يكتب الفيض ﵀: « فان ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت d في الكتب المعتبرة من طرق أصحابنا (رضوان الله عليهم) أوردناه،» (الفيض الكاشاني، تفسير صافي، ١٤١٥ق: ٧٥/١) على أية حال، يشترك كلا المفسرين في استخدام أحاديث الصحابة.

٤-٥- اعتبر كلا المفسرين المعنى الباطني شرطًا في مفهوم تأويل القرآن، وفي آيات مختلفة قاما بتأويل آيات القرآن باستخدام روايات الراسخين في العلم، أي الأئمة d ، على الرغم من أنّ الفيض ﵀ يعتبر كشف المعنى الباطني عناية إلهية،بينما لا يعتبره معرفت ﵀ إلا إذا كان من أهل البيت d .

٥-٥- استخدم كلا المفسرين المنهج الاجتهادي، وإن كان الاجتهاد في منهج المفسرين معنيين، لكن كلاهما استخدم المبادئ العقلانية، لذا فإن التفسير الأثرى الجامع وتفسير الصافي هما مزيجان من روايات المفسّر واجتهاداته.

٦- دراسة منهج المفسّرَين ونقده بعلى الرغم من أنّ منهج المفسّر مرتبط به إلا أنّنا في هذا البحث نقوم بدراسة الآراء ونقدها في هذين المنهجين.

١-٦- نقد منهج كلا المفسرين في تفسير القرآن بالقرآن.

ما كتبته معرفت ﵀ من أنّ المنهج المأثور أو النقلي أربعة أنواع، وهو يعتبر تفسير القرآن

بالقرآن منهجًا نقلياً، يقتضي ألا يكون للمفسّر دور في تفسير القرآن بالقرآن في حين أنّ المفسّر إنّما يتدبّر ويتأمّل في الآيات المختلفة في تفسير القرآن بالقرآن لكي يقدر على تفسير الآية من خلال آيات القرآن الأخرى ومن الطبيعي أن لا يكفي هذا التفسير بقليل من التفكير ويحتاج إلى تأمّل جاد وكدٍّ ذهني مكثّف لذلك وفقاً لوجهة نظر معرفت (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٣٤٩/٢) يجب أن يكون جزءاً من التفسير الاجتهادي العقلي وليس التفسير النقلي أو المأثور.

أمّا منهج الفيض ﵀ الذي يري تفسير القرآن بالقرآن منهجاً مستقلاً فهو غير مفضل أيضًا للأسباب التالية:

أولاً، من بين المناهج التفسيرية يتضح أنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن هو منهج التفسيري الاجتهادي؛ لأنه على الرغم من أنّنا نصل إلى التفسير من خلال رد المتشابهات إلى المحكمات على حد قول الفيض ﵀، أما إذا لم يكن مبنياً على نقل الروايات فهو ممكن بجهد المفسّر والاستناد إلى فهمه الفكري، لذا فهو تفسير اجتهادي فكري.

وثانياً، ليست كل تفسيرات القرآن بالقرآن تفسير الآيات المتشابهة بل في كثير من الحالات، مثل قصص القرآن، يمكن الحصول على تفسير الآيات عن طريق التأمّل والتركيز في الآيات، لذلك يمكن أن يكون منهج هذا التفسير تفسيراً اجتهادياً وعقلانيًا.

٢-٦ - أفضلية رأي معرفت ﵀ ونقد على رأي الفيض ﵀ في أحاديث أهل السّنة غير الصحيحة.

ذكر معرفت ﵀ الشرطين في الحجيّة والاعتبار لأقوال الصحابة أوّلا: صحّة الإسناد إليهم، وثانيًا: كونهم من الطراز الأعلى. (معرفت، تفسير الأثري الجامع، ١٣٨٧ش: ٩٨/١) لذلك ينتقد الأحاديث التي لها ظاهر غير صحيح وهذا أمر منطقي ومسموح به بالإضافة إلى ذلك، يجب ألا تتعارض الأحاديث مع محتوى معين من الآيات على سبيل المثال تتعارض الرواية المطروحة على بساط البحث مع مضمون الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (النساء/١٧)؛ لأنّ في الآية جاءت كلمة "قريب" لقبول التوبة، أي يجب أن يتوب بعد اقتراف

الذنب مباشرة بينما يدلّ محتوى الرواية المدروس بها على قبول التوبة في اللحظات الأخيرة من العمر. أو إنّ الآية ١٨ من سورة النساء تشير بصراحة إلى أنّ التوبة لا تقبل وقت الموت: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ بينما تتعارض الرواية المذكورة مع مضمون هذه الآية.

أمّا منهج الفيض ﵀ يتعرض للنقد لأسباب مختلفة:

السبب الأول: الاعتماد على أية رواية مشروط بأن تتيقّن وثاقة جميع رواة سندها ووثاقة المؤلّف الذي جاء بتلك الرواية في كتابه وليس هناك طريق لإحراز وثاقة معظم رواة أهل السنة ومؤلّفيهم ومجرد نسبها إلى معصوم، حتى لو لم تكن هناك معارضة، لا يكفي لقبولها.

السبب الثاني: في بعض الأحاديث المروية عن الإمام الصادق a ، إنّنا حرمنا من المراجعة إلى أهل السنة واستماع الحديث منهم مثل رواية هارون بن خارجة عن الإمام الصادق a : «قلت لابي عبد الله a انا ناتئ هوئلا المخالفين فنسمع منهم الحديث يكون حجه لنا عليهم؟ قال a لا تاتهم ولاتسمع منهم لعنهم الله ولعن مللهم المشركه» (المجلسي، بحارالأنوار، ١٤٠٣ق: ٢١٦/٢).

السبب الثالث: إنّ الرواية التي نقلها عن الإمام الصادق a في المراجعة إلى روايآت أهل السنة: أولاً: ليس فيها سند صحيح ومعرف به وثانيًا: محتواها أخص من مدعاها؛ لأنها توصي اتباع الأحاديث التي رواها أهل السنة عن أمير المؤمنين علي a فقط ولا يشمل الأحاديث الواردة عن غيره من المعصومين أو الإمام علي a في أحكام غير الأحكام العملية.(بابائي، بررسي مكاتب و روش هاي تفسيري ٢، ١٣٩١ش: ١٢٩)

٣-٦- نقد لمنهج الفيض ﵀ في عدم تصنيف الأحاديث

إنّ منهج التفسير النّقلي الذي يرتكز أساساً على الاقتباس عن السلف، تمّ تأليفه من ثلاث طرق: ١- النقل المصحوب بالنظم والنقد والنظر مثل كتاب جامع البيان في تفسير القرآن للطبري. ٢- النقل المتناثر والمتراكم مثل كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. ٣- النقل الاختياري مثل التفاسير الثلاثة لصالح البرغاني (نصيري، معرفت

قرآني، ١٣٧٨ش: ٤٣/٢).

بما أنّ الفيض ﵀ خبير في الروايات وأسنادها وهو من الأخباريين بما في الكلمة من معنى في عصره بل وفي جميع العصور فإنّ عدم تصنيف الروايات وعدم ترتيب رواية تتعلّق بشأن النزول وعدم تحديد الروايات التي تتناول معاني الكلمات وعدم تصنيف الروايات التي تشير إلى المصاديق وترك الروايات جانباً دون ترتيب خاص، يؤدّي كل ذلك إلى نقاط ضعف تفسيره وعدم تفضيل منهجه التفسيري.

٤-٦- نقد على رؤية الفيض ﵀ في عدم الالتفات إلى سند الأحاديث

لديه سببان لعدم أهمية سند الأحاديث، وليس أي منهما سبباً مقبولًا:

أولاً: مرور الزمان والبعد عن صدر الإسلام (المصدر نفسه) لا يمكن أن يكون هذا هو السبب في عدم وجود الحاجة إلى دراسة السند، أو بسبب عدم الجدوي في البحث عن السبب.

ثانياً: الالتفات بتأييد روح القدس والنظر بنور الله في فهم الروايات وعدم الحاجة إلى دراسة السند فإنّ هذا السبب غير مقبول أيضاً؛ لأنّ كلّ شخص بإمكانه المراجعة إلى كشفه وهذا الكشف حجة له أيضاً إلا أنّه ليس الحجة بالنسبة للآخرين.

٥-٦- دراسة معنى التأويل ونقد على معناه الثاني

إنّ المعنى الباطني للتأويل مقبول لدي معظم الباحثين كما أنّ معرفت ﵀ والفيض ﵀ يذكران هذا المعنى إلا أنّهما يذكران المعني الثاني له. أمّا التفسير بمعنى معرفة المصداق لشخص ما من العام كما كتبه الفيض ﵀ هو ما يشير إليه ابن تيمية. يعتقد ابن تيمية أنّ تفسير القرآن هو معرفة الشكل العقلي للحقائق القرآنية بينما تأويل القرآن هو معرفة شكلها الخارجي. (ابن تيميه، الاكليل في المتشابه و التاويل، بي تا: ١٠-٢٣) وهذا هو قاعدة الجري والتطبيق نفسها وهي عبارة عن تطبيق الآيات القرآنية على مصاديق لم تنزل في شأنها تلك الآيات أي كانت الآية عامة ونقول إنّها خاصة أو استخرجنا من الآية الجزئية أمراً كلياً في البداية ثم نطبّق ذلك الكلي إلى الجزئي وهذا الايمكن أن يكون معنى التأويل.

كما هو الحال في الشق الثاني من كلام معرفت ﵀، الذي يقول: إنّ التأويل يعني تبرير

الآيات المتشابهة، فهذا حسن، لكنه ليس كلاماً كاملاً؛ لأن تفسير الآيات المتشابهة بالاعتماد على الآيات المحكمة هو نفس القاعدة المستخرجة من الآية ٧ من سورة آل عمران وهي تتعلق بالمعاني الظاهرية للآيات وليست بمعني التأويل والمعني الباطني للآيات. لذلك، يعتقد السيد حيدر الآملي أنّ هذا التعريف للتأويل هو تعريف أهل الظاهر وهو أشار إلى هذه المسألة في المجلد الأول من كتاب "المحيط الاعظم" حيث قال: «وقيل: التأويل هو التوفيق والتطبيق بين المحكمات والمتشابهات على قانون العقل والشرع وهذا حسن وذلك يكون بردّ المتشابهات إلى المحكمات وتطبيقها بها بحيث لايخرج عن القانون الأصلي الأصولي» (الآملي، المحيط الاعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب اللّه العزيز الحكيم، ١٤٢٢ق: ١/ ٢٣٩)

أمّا هذا فليس الحديث عن باطن القرآن بل هو ردّ المتشابهات إلى المحكمات وليس ردّ الظاهر إلى الباطن كما أشار إليه بعض الباحثين: إنّ ردّ المتشابهات إلى المحكمات هو من مصاديق التفسير والكشف عن ظاهر اللفظ وليس التأول، لهذا السبب لقد اعتبر العلامة السيد حيدر، هذا التعريف متعلقاً بأهل الظاهر." (مرزئي، ١٣٩٠ش، مجله معارف عقلي، ص١٧٤) فبما أنّه ردّ وملائم مع المعنى اللغوي للتأويل، فقد اعتبر السيد حيدر هذا المعنى حسناً، لكن ليس المعنى المفضل الجامع.

٧ـ نتائج البحث:ـ

١-٧- يعتبر تفسير الصافي للفيض الكاشاني تفسيراً قيّماً في العالم الإسلامي، وقد استخدم المفسر أساليب مختلفة للوصول إلى مراد الله في آيات القرآن، وأهمها:

الأول: منهج القرآن بالقرآن كمنهج تفسيري مستقل، والثاني: المنهج النقلي أو المأثور حيث استعان فيها بالنبي i وروايات أهل البيت d سواء من الشيعة أو السنّة يجدر الذكر أنّ الفيض في بعض الأحيان قد استخدم في تفسيره كتب أهل السنة التفسيرية أيضاً، أما المنهج الثالث الذي استخدمه الفيض في تفسير الصافي فهو منهج التفسير الباطني والصوفي للقرآن بطريقتين: التعبير عن أسرار الآيات الإلهية والطريقة الأخرى هي تفسير المعاني الباطنية للآيات بتعبير لطيف خاص بتفسيره. منهجه الرابع في التفسير هو تفسير الاجتهاد العقلاني، حيث ترك ظواهر القرآن جانباً مستعيناً بالقواعد العقلانية واستخدم

أحيانًا مبادئ عقلانية وفلسفية في التفسير. لذلك، فإن منهج المفسر في هذا التفسير لم يكن مجرد المنهج النقلي أو المأثور الذي يعتمد على الآيات والروايات بأنواعها وأشكالها المختلفة، ولكن في كثير من الحالات، دون الرجوع إلى روايات المعصومين d ، يقوم بشرح الآيات وتوضيحها بالاعتماد على أفكاره والمبادئ العقلية.

٢-٧. إنّ التفسير الأثري الجامع من تأليف العلّامة معرفت يعتبر من أكثر التفاسير المعاصرة قيمة أيضاً، والذي يحظي بالمناهج التفسيرية المختلفة إلا أنّ المنهج السائد فيه هو المنهج النّقلي - المأثور وقد استخدم المفسّر هذا المنهج بطرق مختلفة منها طريقة تفسير القرآن بالقرآن وطريقة التفسير الروائي وهو في هذه الطريقة بالإضافة إلى أحاديث النبي i والأئمة d استخدم أقوال الصحابة والتابعين أيضاً وذكر اسم مصدرها بحيث يسهل الوصول إلى مصادرها. كان غرض المؤلف في هذا التفسير هو جمع الروايات التفسيرية في مجموعة واحدة، ونقدها ودراستها الحكيمة ونشر ثقافة القرآن وأهل البيت d .

إنّ المنهج الآخر للعلامة معرفت ﵀ هو المنهج الاجتهادي الذي قام فيه بتفسير الآيات معتمداً على الفهم العقلي وتجدر الإشارة إلى أنّه تجنّب عن الاجتهاد المعقّد ويمكن القول إنّه في هذه الطريقة أثبت أنّ منهجه ليس مجرد المنهج النّقلي، لكنه استخدم التفسير الاجتهادي أيضًا وقد استخدم الاجتهاد الشخصي في حقول مختلفة، وخاصة في حقل علم الكلام والتصوف والأدب. قد ورد في نص المقال أمثلة على كلا المفسرين.

٣-٧. ومن أهم القواسم المشتركة في المناهج التفسيرية لهذين المفسرين هي: استخدام الآيات الإلهية في التفسير، والاستفادة القصوى من أحاديث أهل البيت d في التفسير، واستخدام المنهج الاجتهادي من قبل كلا المفسّرين.

٤-٧. إنّ أهم الفروق بين هذين المفسرين في التفسير هو أنّ معرفت ﵀ يعتبر منهج تفسير القرآن بالقرآن منهجاً نقلياً، بينما يعتبره الفيض ﵀ منهجاً تفسيرياً مستقلاً في حين أنّ هناك أسباب كافية تدل على أنّ تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير اجتهادي،

بل اجتهاد عقلاني بمعناه العام.

إنّ الفرق الآخر بين المنهج التفسيري لهذين المفسرين هو أن معرفت ﵀ ينتقد روايات أهل السنة غير الصحيحة في الظاهر إلا أنّ المرحوم الفيض ﵀ عادة ما لا يهتمّ بها.

وفي التفسير الباطني، يقدم كل منهما تعريفًا خاصاً للتفسير، على الرغم من أنهما يشتركان في كون التأويل باطنياً لكن الفيض ﵀ قد يندرجه في تعين المصداق الذي انتقدناه، لأنّ تعين المصداق هو أساسًا نوع من قاعدة الجري والتطبيق وليس نوعًا من المعنى الباطني أمّا معرفت ﵀ فينحصره في شرح الآيات المتشابهة كما تم انتقاد هذا الرأي أيضاً؛ لأنّ التأويل أوسع من الآيات المتشابهة. تجدر الإشارة إلى أنّ هناك اختلافات أخرى أكثر تفصيلاً في منهج هذين المفسرين التفسيري.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. الآملي، سيد حيدر، المحيط الاعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب اللّه العزيز الحكيم، قم: مؤسسه فرهنگي و نشر نور علي نور، ١٤٢٢ق.

٢. آقابزرگ تهراني، محمدمحسن، الذريعه إلى تصانيف في فضائل الشيعة، قم: مؤسسة النشر الأسلامي، ١٤١٢ق.

٣. ابن بابويه، محمدبن علي، عيون اخباررضا، تهران: نشر جهان، ١٣٨٧ق.

٤. ابن تيميه، احمد، الاكليل في المتشابه و التاويل. مصر: دار الايمان، بي تا.

٥. بابايي، علي اكبر، بررسي مكاتب و روش هاي تفسيري ٢، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، ١٣٩١ش.

٦. حسن بن علي امام يازدهم، تفسير منسوب به امام حسن عسكري a ، قم: مدرسة الامام المهدي ﵇، ١٤٠٩ق.

٧. الحرالعاملي، محمدبن حسن، امل الآمل، تحقيق: احمد حسيني، قم: دارالكتاب الاسلامي، بي تا.

٨. الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، بيروت: دارالكتب الحديثه، ١٣٩٦ق.

٩. رجبي، محمود، روش تفسير قرآن، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، چاپ چهارم، ١٣٩٠ش.

١٠. رضايي اصفهاني، محمدعلي، «سبكي نوين در تفسير روايي»، بينات، سال يازدهم، شماره ٤٤، ١٣٨٣هـ ش.

١١. روشن ضمير، محمدابراهيم، «معرفي و نقد التفسير الاثري الجامع»، مجله تخصصي الهيات وحقوق، شماره٢٦، ١٣٨٦ه ش.

١٢. الطباطبايي، محمدحسين، الميزان، بيروت: مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، چاپ دوم، ١٣٩٠ق.

١٣. عبدالله زاده، رحمت الله، سميه خاري، «بررسي تطبيقي روش تفسيري فيض كاشاني و ابن كثير»، دوفصلنامه مطالعات روش شناسي ديني، سال دوم، شماره ٤، ١٣٩٤ هـ ش.

١٤. عك، خالدعبدالرحمن، اصول التفسير و قواعده، بيروت: دارالنفايس، ١٤٢٨ق.

١٥. عميد زنجاني، عباسعلي، مباني و روش هاي تفسير قرآن، تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد، ١٣٨٧ش.

١٦. العياشي، محمدبن مسعود، تفسير العياشي، تهران: مكتبة العلميه الاسلاميه، بي تا.

١٧. الغروي الأصفهاني، ميرزامهدي، تقريرات، مشهد: نسخه خطي نسخه خطي كتابخانه آستان قدس، بي تا.

١٨. فهيمي تبار، حميدرضا، «تفسير صافي و زمينه هاي اجتهاد»، فصلنامه كاشان شناخت، شماره٤، ١٣٨٧ ه ش.

١٩. الفيض الكاشاني، ملامحسن، تفسير صافي، تهران: مكتبة الصدر، چاپ دوم، ١٤١٥ق.

٢٠. همو، الأصفي في تفسير القرآن، قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨ق.

٢١. الكراجكي، محمدبن علي، كنزالفوائد، قم: دارالذخائر، ١٤١٠ق.

٢٢. الكليني، محمدبن يعقوب، اصول كافي، تهران: دارالكتب الاسلاميه، چاپ چهارم، ١٤٠٧ق.

٢٣. المجلسي، محمدباقر، بحارالأنوار، بيروت: دار إحياالتراث العربي، چاپ دوم، ١٤٠٣ق.

٢٤. مزريي، رسول، «تاويل طولي و مباني آن از نگاه سيد حيدر آملي»، مجله معارف عقلي، سال ششم، شماره ٣، ١٣٩٠ه ش.

٢٥. معرفت، محمدهادي، تفسير و مفسران، قم: مؤسسه فرهنگي انتشارات التمهيد، ١٣٧٩ش.

٢٦. همو، التفسير و المفسرون في ثوبة القشيب، مشهد: الجامعه الرضويه، ١٣٧٧ش.

٢٧. همو، تفسير الأثري الجامع، قم: مؤسسه فرهنگي انتشارات التمهيد، ١٣٨٧ش.

٢٨. همو، التمهيد في علوم القرآن، قم: مؤسسه فرهنگي انتشارات التمهيد، ١٣٨٨ش.

٢٩. مؤدب، سيدرضا، روش تفسيري قرآن، قم: انتشارات اشراق، ١٣٨٠ش.

٣٠. نصيري، علي، معرفت قرآني، تهران: پژوهشگاه فرهنگ و انديشه، ١٣٧٨ش.